جـ ـ فى الحكايات

العبرة بالأدب

أعلنت مديرة أحد المستشفيات الكبرى بأوربا حاجتها لفتاة متعلمة ، لتساعدها فى الأشغال الكتابية الخاصة بالمستشفى . وحددت مَوْعِدًا لفحص العرائض . فتقدم لهذه الوظيفة فتيات من جهات مختلفة . وفى الميعاد المحدد جلست المديرة مع اثنتين من طبيبات المستشفى فى إحدى الغرف ، وفحصن هذه العرائض ، وقابلن الطالباتِ واحدة فواحدة . فلما انتهين منهن جميعاً ، قالت المديرة : إن اختيارها صادف للفتاة فلانة . فسألتها إحدى الطبيبتين عن سِرّ هذا الاختيار مع أن هناك مَنْ هُنّ أفضل منها . فأجابت بأنها فَضَّلَتْها لِمَا لَحِظته فيها من الآداب ورُقِيّ الأخلاق : فإنها قبل أن تدخل الغرفة نَقَرَت الباب نَقْرَة خفيفة استئذاناً ، ثم دخلت ولم تترك الباب مفتوحاً كما فعلت كثيرات قبلها ، ثم أقبلت علينا بأدب وابتسام ، ولما صادفت فى طريقها هذا الكتاب الذى كنت قد طرحته على الأرض قصداً لم تَتَخَطَّه كما فعل غيرها ، بل رفعته من طريقها ، ووضعته على المكتبة بأدب ولطف . فلما خاطبتُها وتأملتُها رأيتُ أنها نظيفة الثياب جدا ، نظيفة الاسنان ، مُقَلَّمة الأظافر . هـذا إلى أنه قد اتضح لى من

محادثتها أنها رزينة ، تبدو عليها علاماتُ الحشْمة وسِماتُ الوقار . فكل ما قدمته من الأوصاف مميزاتٌ تمتاز بها . أليس كذلك ؟ فأقرت الطبيبتان رأيها واستحسنتا الاختيار ، وفازت الفتاة بفضل آدابها وجميل خصالها

مصاحبة غَيْر النُّظَراء

يحكى أن زاغاً* صادف ريش طاوُس فلَبسَه وطار ، حتى إذا رأى سِرْباً من الطواويس انضم إليه ، مُوهِماً أنه واحد منهم . ولما خالطَتْه الطواويس وتبين لها حقيقة أمره ، وعرفت أنه دخيل فيها ، انقَضَّت عليه ، ومزقت بمناقيرها ذلك الرداء المستعار ، ولم يتمكن الزاغ الغِرُّ من النجاة بحياته إلا بِشِقِّ الأنفُس . ثم أراد الرجوع لجماعة الزِّيغان التى كان عائشاً فيها من قبل ولكنها كانت قد عرفت ماأتاه ذلك الأحمق المفتون ، وأنه أراد أن يَتَرَفّع عن البيئَةِ التى نشأ فيها . ولكن هَيْهاتَ أن يصل إلى بُغْيَتِهِ : إذْ رفضته وأبت كلّ الإباء أن تقبله ، قائلة له : إن عودتك إلينا لم تكن حُبًّا لنا ولا رغبة فينا ، بل هى الضرورة ألجأتك ، فَاغْرُبْ عنا وإلا أجْهَزْنا عليك . فذهب المسكين وعاش حقيرا ذليلا ، وَنَحَلَ جسمُه ، وتساقط ريشه من الذُّل

* هو غراب صغير يميل الى البياض

والوحْدة ، فمات حزناً وَكَمَدًا . وهـذا عقاب المغتر الذى تحدثه نفسه أن يهجر أهله وخلانه الأقدمين. متطلعاً لمعاشرة مَنْ هُمْ أرقى منه شأناً وأعلى مَكانَةً ، فلا هو مقبول فى الثانية ، ولا حافظٌ مكانته فى الأولى

زَاغٌ مَفْتُونٌ بِرِيش الطاوُس

فعلى الفتاة ألا تنظر إلى مَنْ هُنَّ أرقى منها ثروة أو جاهاً ، وتتّخذَ لنفسها منهن مثالًا تَنْسُجُ على منواله فى إعداد ملبسها ، وتحمِّلَ أهلها فى شرائه وتَهْيئته ما لا طاقةَ لهم به ، ثم تنضمَّ إلى السيدات المثْريَات اللائى لا تَجْمَعُها وإيَّاهُنَّ أَواصِرُ نَسَب ولا لُحْمَةُ قرابة ، وذلك للرغبة فى الصِّيتِ الكاذب ، وحب الفَخْفَخَةِ والعظمة الباطلة ، فتُصبحَ بذلك منبوذةً ملفوظة مُحقّرة ، وتكون موضع السُّخْرِيَةِ بين الناس أجمعين

الرِّيبة وسُوء الظّن

عاشت عُصفورتان فى صدق ووفاء ، ومحبة وإخاء ، مدة من الزمان . فخرجت إحداهما ذات يوم إلى أحد البَيادِرِ ، فجمعت قمحاً كثيرًا ملأت به العُش ، وقالت لأختها : إنّ ما نَخْزُنُه اليوم فى وقت الرَّخاء ينفعنا غدا وقت الشدة والعناء . فقالت لها: نِعْمَ ما فعلت ، والعاقل من يُعِدُّ للأيام عُدَّتَها حتى لا يَمُدَّ يده بالسؤال والمَسكَنة . واتفقتا على ألا تأكلا من هذا القمح شيئاً . وكان القمح نَدِيًّا فامتلأ به العش . فلما جاء الصَّحْوُ جَفَّ فصغُر حَجْمُه ، وظهر أقلَّ مما كان عليه من قبل . فظنت أن صاحبتها قد أكلت منه فى غيابها . فأقبلت عليها تلومها وتُعَنِّفُها ، فأقسمت لها أنها لم تقْرَبْه قط ، وأنها على وعْدِها

لها ، فلم تصدّقها . وما زالت فى لومها وعَتْبها حتى ضاقت صاحبتُها ذَرْعا ، وكرِهَتْ المُقام معها فغادرت العُشَّ وما فيه ، وانطلقت هانئةً على وجهها . وبقيت الأخرى وَحِيدَةً كئيبة حتى جاء يومٌ مُمْطر ، فابْتَلَّ القمح ورَجع إلى حالتـه الأولى . فأدركت الحَمْقاء خطأَها وعرَفتْ عاقبة سوء الظن ، فأقبلت على نفسها باللوم والتعنيف والبكاء والنحيب إلى أن ماتت .

صداقة الحيوان

عندى قِطةٌ بَيضاءُ ناصعةٌ لونُها تَسُرُّ الناظرين ، ولها ثلاث هُرَيْرَاتٍ تُرضِعُها وَتَتَعَهَّدُها ، وتراعيها كما تراعى الأم العاقلة أطفالَها . ولبياضها الناصع سمَّيتُها « يسمينة » وهى تحبنى وأحبها . فكلَّ يوم عند حلول ميعاد عَوْدَتِى من المدرسة تستقبلنى على باب المنزل ، وتُقْبل علىّ ، وتقفِزُ على كَتِفى ، وتلاعبنى بلطف وائتناس . وإذا أمسكتُ رِجلها

صَدَاقَة الحَيَوان

لا تؤذينى بمخالبها ، لأنها تعرف أننى أشفق عليها . أما طعامها فخبز مفتوتٌ فى اللبن . ولا أعطيها شيئاً من اللحم ، لئلا تعتادَ أكله ، فتصير وَحْشِيَّةً كالحيوانات المفترسة

وَمِنْ غريب ما حدث لى مع « يسمينة » أننى كنت مريضة يوماً من الأيام فانقطعتُ عن المدرسة . فلازَمَتْنى ولم تَبْرَحْ غرفتى غير دقائق معدودة ، وصارت تحوم على سَريرى ، وتقف أحياناً عند رأسى ، ولم تتناول من الغِذَاء أثناء النهار إلا قطعة صغيرة من الخبز . وكلما وضعوا لها طعاماً أعرضَتْ عنه على خلاف عادتها ، فكأنها من بنات آدم لا تشتهى الطعام عند شعورها بغم أو حزن

ولما أَبْلَلْتُ من مرضى وقمت من فراشى ، صارت تجتهد بما لديها من الوسائل أن تُدخِلَ علىَّ السرور : فأخذَتْ تأتى بضُرُوب الوَثْب والمُلاَعبة ، والدَّوَرَان حول نفسها مُتابِعَةً النظر إلى ذيلها ، وهَلُمَّ جرًّا . وسيكون لِهَذِهِ القِطَّة عندى من جميل الذكرى ما لا أنساه طولَ حياتى .

تِلْكُنَّ أيتها الفتيات حالة قطة مع ابنة صغيرة ، نشأت بينهما الألفة والمحبة ، بفضل حسن المعاملة وجميل المعاشرة . فلْيكنْ لكنَّ من هذا المثال موعظةٌ حسنةٌ ، فى إكرام الحيوانات العُجْم والإشفاق عليها والرِّفْق بها . فإنَّ فيها لنا منافعَ جَمَّة ، ولا ينبغى أن يُقابَلَ الجميلُ بالإساءة . إنَّ فى ذلك لعبرةً لأولى الألباب

الرفق بالحيوان

إن بعض الناس ممن فُطِرَت قلوبهم على الشدة والغِلْظَة، يعاملون الحيوان معاملة قاسية ، حاسبين أن هـذه العَجْماوَاتِ لا تَشْعُرُ ولا تتألم . لذلك أُسِّسَتْ فى القاهرة جمعيةٌ للرفق بالحيوان . ولها فروع فى المُدُن الكبيرة بالقطر المصرى . وغَرَضُها حماية الحيوان من الأذى والضرب وسوء المعاملة ، وتكليفه ما لا يُطيق من الأعمال . وإنا لنَرى الدَّوَابَّ من خيل وبغال وحمير فى شوارع المدن الكبرى مُثْقَلَةً بما لا طاقة لها به ، وبعضها مريض أو جريح أو عطشان . ولا يَنْفَكُّ صاحبها أو سائقها مع ذلك يضربها ويُؤذيها بأنواع الإيذاء . والسبب فى ذلك راجع إلى الجهل والقساوة . فالجمعية تباشر فى مثل هذه الأحوال معالجةَ الحيوان ، وتُزَوِّدُ المالك أو السائق النصائحَ والإرشاد فى معاملته ، وتُفْهِمُه ضرورةَ مُراعاة الرفق به والشفقة عليه. وإذا رأت الجمعية أن الحيوان قد عُذِّب فإنها تكون سبباً فى عقاب الجانى . وللجمعية جملة موارد للماء منتشرة فى المدن الكبيرة ، لسَقْىِ الدَّوَابِّ وإطفاء ظَمَئِها ، كما أن لها مستشفًى فسيحاً فى القاهرة

فجزى الله المؤسسين والقائمين بهذا العمل الخيرى أحسن الجزاء .

فإياكِ أيتها الفتاة أنْ تُؤْذى حيواناً بالضرب أو التعذيب : كأنْ تضربى

الرِّفْقُ بِالحَيَوانِ

إيَّاكِ أَنْ تُؤْذِي حَيَوانًا أَوْ تُجِيعِي طائِرًا أَوْ عُصْفُورًا

قِطا أو تُجيبى طائرًا أو عُصفوراً . أو تُهْمِلى تقديم الماء له . واعلمى أن الحيوان إذا جاع أو عَطِشَ أو تألم ، فإنه لا يمكنه التعبيرُ عما يُخالج فؤاده من ذلك، كما هو شأنُ الإنسان الذى خصَّه الله بالعقل واللسان. فتعذيبُ الحيوان يُوجِبُ غَضَبَ الله، والله شديد العقاب . وقد جاء فى الحديث الشريف « عُذِّبَتِ امرأةٌ فى هِرَّةٍ سَجَنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقَتْها، إذْ حَبَستها ،ولا هى تَرَكتها تأكلُ من خَشاشِ الأرض »

مكسب شريف

الفلاّحة — تَعالَىْ فانظرى دَجاجى فعنـدى ثلاثون دجاجة ، ربَّيْتُها منذ كانت أَنْفاقاً ، فأصبحت الآن تبيض

بنت البلد — لله ما أجـلَ مَنْظَرَها ! وكيف كَبِرَتْ ولم يمت منها شئ ؟

الفلاّحة — لم أتعب فيهـا كثيراً ، ولـكننى كنت حريصة عليها جـدًّا . وذلك أننى كنت أُخْرِجُها فى شمس الشتاء الدَّفِئَة اللذيذة ، وأقعد بجانبها أَهُشُّ عليها بعصا خفيفة ، أراقب الحِدَأَ ، فهذه شَرُّ أعدائها ؛ ثم كنت أَنْثر لها ما أُعِدُّهُ مِنْ غِذاء من أرز أو قمح أو جَريش أو غير ذلك . وما أحلى منظرَها حين أرمى لهـا قطعة صغيرة

من ورق الخس أو غيره من الخُضَر !

بنت البلد — إنك ضيَّعْتِ بجانبها وقتاً طويلاً

الفلاّحة — لا . لم أُضيع وقتاً سُدًى ، لأنى أنتفع الآن بِبَيضها ، لأن عشرين دجاجة منها تبيض كل يوم ، وأبيع البيض كل أربع بقرش

بنت البلد — ولكن ربما لا تجدين مَنْ يشتريه

الفلاّحة — إنى أبيع البيض كلَّ يوم أو يومين ، لأن الناس عرفونى وأدركوا فِىَّ الأمانة والصدق . فلم أحاولْ يوماً أن أَغُشَّهُم ببيض مَذِر

بنت البلد — وهل تبيعين لهم شيئاً غير البيض ؟

الفلاّحة — أبيع لهم الحمام أحياناً . تَعالىْ معى أُرِكِ مكانه

بنت البلد — هذا حمام كثير جدًّا . ولا بُدَّ أن يكلفك فى تغذيته وتَعَهُّده مالاً طائلاً

الفلاّحة — هذا عكس الواقع . وهو أقل نفقة من الدَّجاج . لانه كما تَرَيْن فى بُرْج مفتوح . فهو يطير إلى الحُقول والبَيادِر ، يأكل منها ويشرب من الجداول . ومكسبه عظيم ، لأنى أبيع كلَّ زوج منه بخمسة قروش

بنت البلد — إنك على جانب كبير من الذكاء . وتعرفين الطُّرق الشريفة لكسب معاشِكِ بكدّك وجِدّك . فهل عندك شئ آخر ؟

الفلاّحة — عندى بَطٌّ ، وهو الآن فى البِرْكة هذه التى تَرَيْنَها بجانب الدار . وهو دائماً فى الماء ، لأنه يحبه حبًّا جمًّا ، ولا يخرج منه

إلا للأكل . وما دام فى الماء فهو فى غاية الصحة والنظافة

بنت البلد — وهل يَلِد فراخَه الصغيرة وهو فى الماء ؟

الفلاحة — إن البط لا يلد . وانما يبيض كالدجاج . ويبيض عندى فى المنزل ، لأنى فى المساء أسوقه إليه . والتى قَرُبَ ميعاد

وَاللهِ لَقَدْ أَحْبَبْتُ مِنْك تَرْبِيَةَ الطُّيورِ الْمَنْزِلِيَّةِ وَشَوَّقْتنى إِلَيْها

بيضها أَحْجُزُها فى الصباح ، فلا تخرج مع الباقى . وإذا اجتمع مقدار صالح من البيض حَضَنَتْه إحداهن ، ثم تخرج منه الفراخ تمشى وراء أمها

بنت البلد — ما أجمل الصِّغَارَ منه ! ولكن ألا تخافين عليها من الغرق ؟

الفلاّحة — ألا تسمعين فى مصر المثل « ابن الوز عوام » ؟ فإنه إذا صار فى الماء يعوم ولا بأسَ عليه

بنت البلد — وهل تبيعينه أيضاً ؟

الفلاّحة — أُرْسِلُ منه مع أبى فى كل شهر أربعا الى سوق البلد ، فتباع الواحدة بسبعة قروش أو ثمانية

بنت البلد — ما أَهْنَأَ حياتَك أيتها العاقلة العاملة النشيطة ! والله لقد أحببتُ منك تربية الطيور المنزلية ، وشوّقتنى إليها فَسَأُقَلِّدُكِ وأُجرِّب

الفتاة الفلاّحة

فى إحدى قرى الريف بالقرب من مدينة الزقازيق، ضَيْعَةٌ لأحد أعيان مصر المقيمين فى القاهرة . فذهب ذلك السَّرِىّ يوما لِتَفَقُّد حالتها ومزروعاتها ، وأخذ معه ابنتيه. وكانت إحداهما واسمها «حنيفة»

تلميـذة فى السنةِ الرابعة بالمدرسة السنية : والأخرى وهى الصغرى ، واسمها «جليلة» تلميذةً فى مدرسة الأمير عبد المنعم

ولما وصلوا جميعاً إلى الدار المقامة بالقرب من الضيعة ، ونَفَضُوا غُبار السفر ، وغسلوا وجوههم وأيْدِيَهُم ، خرج الرجل لمقابلة شيخ البلد ووكيل الزراعة والعمال ، لاستطلاع آرائهم وَمُفاوَضَتِهِمْ فى شُئُون الأرض ، وما تَمَّ فى أمر المحصول . أما حنيفة وجليلة فاستأذنتا والدهما فى التنزه قليلا بين المزارع ، والعودة بعد ساعة . فأذنَ لهما فى ذلك . وكان إذْ ذاك أوان ازْدِهار الفول ، ورائحة أزهاره الجميلة تَنْبَعِث منه ، وتختلط بالنسيم العليل البليل . فَتُحْدِث سرورا وانشراحا عظيمين . وبينما هما فى الطريق ، إذ بفتاة فلاّحة فى رَيْعان شبابها ماشية ، لابسة ثوباً من نسيج أسود ، واسع الكُمَّين ، عاصِبةً رأسها بمِنديل أحمر . أما قدماها فكانتا حافيتين . وعلى رأسها إناء من صفيح ، عليه غِطاء من ليف . فاستوقفتاها و بعد التحية سألتاها عن اسمها . فقالت اسمى «مبروكة» فدار بينهما الحديث كما يأتى : —

حنيفة — ما هـذا الذى تحملينه على رأسك يا مبروكة ؟ وأين تذهبين ؟

مبروكة — هـذه صفيحة مملوءة لبناً . وإنى ذاهبـة بها إلى منزل عمى

جليـلة — وما ذا تعملين فى هذا البلد ؟

مبروكة — إننى أحْلِبُ الجاموسة ، وأساعد أمى فى عمل الزُّبْدة

والسمن والجُبْن . وأحمل الغَدَاء لأبى وإخوتى كل يوم فى الحقل . ثم أحمل أختى الصغيرة وألاعبها ، حين تكون أمى مشغولة فى طبخ العشاء . وعندى دجاجتان أُطعمهما وأضع لهما الماء فى الطَّاجن ، وآخذ بيضهما كلّ يوم

حنيفة — هل ذهبتِ إلى القاهرة فى حياتك يا مبروكة ؟

مبروكة — ذهبتُ مع والدى وأمى مرة ، وقد فرَّقنا الزِّحام فى شارع الموسكى ، وضاقت نفوسنا ، وأخيرًا تقابلنا بالقرب من مسجد سيدنا الحسين

حنيفة — تعالَىْ معنا وأقيمى فى القاهرة ، فإن الحياة فيها جميلة ، ولنا منزل كبير مُضاء بالنور الكهربائى ، ومفروش بأحسن الفُرُش . وعندنا كثير من الخدم والمآكل الطيبة ، والملابس الحَسَنَة ، ولنا عربة خاصة نستريض فيها فى بعض الأوقات

مبروكة — لا ياسيدتى ، أشكر فضلك . إننى لا أُحب أن أعيش إلا هنا فى دارنا . وهى وإن كانت صغيرة بسيطة ، افَضِّلها على غيرها . وليس شئ يَسُرُّنى مثلَ الهواء الطلق ، ورؤية المزارع الخضراء والماء يجرى فى وسطها . فنحن الفلاحينَ مثلُ الطيور لا تألف إلا الحُرية ، ولا نُحب عيشة المدن . لأننا نشعر ونحن فيها كأننا محبوسون فى قفص

جليلة — نعم والطير لا يحب القفص ، ولو كان من ذهب . فأنتم مَعْشَرَ الفلاحين تفضِّلون القرى على المدن ، لأن المدن ضيقة

فى نظركم ، وفيها زِحام وَضَوْضاء لا يُروقانِكم

مبروكة — نعم ياسيدتى ، ولا سيَّما العربات الكثيرة التى منها ماتجره الدواب ، ومنها مايمشى وحده بالنَّفَس . ولما كنا فى مصر فى تلك المرة رأينا عربة من هذا النوع ، وأردنا أن نركبها إلى العباسية حيث دارُ العمدة فى مصر . فجعل أبى يشير إلى السائق بالوقوف فلم يقف

جليلة — إنك تقصدين عربةَ الترام التى تسير بالكهرباء . إنها لاتقف إلا فى محطات معينة

حنيفة — وأظنك يامبروكة حَمِدْتِ الله عند عودتكم من مصر إلى هنا بالسلامة . بارك الله فيك . فإنك فتاة طيبة ، نَشَأْتِ وَدِيعَةً ورضِيتِ بحالتك . بل فَضَّلْتِها على كل حالة سواها . أمسيتِ بخير

ثم عادتا لأبيهما ، وقَصَّتا عليه ماوقع لهما مع تلك الفلاحة . فقال لهما : إن ما عليه الفلاّحون من الجِدّ والنشاط ، والدَّأْب فى العمل ، والقناعة ، لهو أساس ثروة القطر المصرى وعُمْرانه . ولو توانَوْا أو تكاسلوا فى أعمالهم ، والتفتوا للتَّرَف والكماليات ، وأهملوا مراقبة مزارعهم ، وتركوا العناية بها ، وطرحوها وراءهم ظِهْرِيًّا ، لمات الزرع وجَفَّ الضَّرْع ، ولأصبحت مصر أرضاً بَلْقَعاً قَفْرًا ، وأمسى سكانها فقراء تاعِسين ، كأهل البادية : فلا رَيْبَ فى أننا مَعْشَرَ الحَضَريين مَدِينون بحياتنا وَرَفاهَتِنا لهؤلاء القَرَوِيّين . فإنهم مَصْدَرُ سعادتنا ورخائِنا ، وعلينا أن نكافئهم بِحُبِّنا لهم ، وعمل مافى وُسْعِنا لإسعادهم ، وتوفير أسباب الراحة والهناءة لهم

لا تحكمي بالظواهر

مرَّت معلمة وتلميذتها أثناء استراضتهما بقصر فَخْمٍ ، تكْنُفه حديقة فَيْحاء ، تَنْبَعِثُ منها روائح تُنْعِش الفؤاد ، وتَشْرَح الصدر . وأرضُها مفروشة بالرمل الأحمر الجميل . وعلى سِياجِها تُطل الأزهار بألوانها البديعة ، من ورد وفل وياسمين . وعلى باب القصر خادمان ينتظران سيدهما ، وأمامه عربة ذلك السيد ، وهي في غاية النظافة والطَّلاوة ، يجرها جوادان مُطَهَّمان . أما السائق فحدِّثْ عن جميل ثيابه ولا حرج . فجرى الحديث الآتي بين البنت ومعلمتها :

الفتاة — ما أجملَ هذا القصرَ وأسعدَ ساكِنيه ! ياليت لنا مِثْله !

المعلمة — لا تحكمي يا ابنتي بالظواهر . فقد يكون سكانه على اتساعه وجماله غيرَ متمتعين به لسبب لا نعلمه : كأنْ يكون بعضهم مُصاباً بمرض عُضال ، أو مُتَغَصِّصاً بالفراق أو الحزن أو الدَّيْن ، أو ما شاكل ذلك . وقد يكون لساكن الكُوخ مِنْ لذة العيش ما ليس لصاحب القصر . فطالما سمعنا أن غنيًّا أُصيبَ بمرض ، فتمنى لو يَبْرَأُ منه ولو حُرِم كلَّ ماله ، وأصبح لا يملك قوت يومه . والعِبْرَة ليست بالظواهر ، وسبحانَ مَنْ يعلم ما خَفِيَ وما ظهر . نعم في الدنيا كثير ممن مَنَّ الله عليهم بالثروة والجاه ، فعاشوا عيشة راضية مُرتاحي البال ،

مطمئنى النفوس ، لا يَعْتَورُ صفاءهم كدرٌ ولا تَنَص . وفيها أيضاً فريق يملكون المال الكثير ، والضِّياع الواسعة ، ولكن لديهم من أسباب النكد الخفيّ ، ما يجعلهم فى عذاب أليم . فأولئك يُغْبَطون فى الظاهر ، ولكن حالتهم فى الواقع تستوجب الرأفة والشفقة ، وأمثالهم فى الدنيا كثير . فما أَحْسَنَ الفَقْرَ مع السلامة

وبينما هما فى الحديث إذا برجل أعمى قد خرج من ذلك القصر وبيده عصا يتوكّأ عليها ، يقوده خادم . فأجلسه فى العربة . فقالت المعلمة لتلميذتها : يظهر أن هذا يا ابنتى صاحبُ القصر بما فيه . فهل ترغبين أن يكون حَظك من الدنيا مثلَ حظه ؟ فقالت الفتاة ولِمَ لا ؟ فإنه متمتع بهذا النعيم ، وله من الجوارى والخدم عدد كبير ، وهذه دلائل الثروة الطائلة . فلا شك انه يأكل أحسن الأطعمة وألذّها ، وَيَلْبسُ من الملابس أَفْخَرَها . وهل للإنسان وراء ذلك مطمع ؟

المعلمة — ولكنه أعمى لا يرى من جمال هذا القصر ما تَرَيْنَهُ ، ولا فى عزة الثروة وكثرة الخدم ما تخيلينه ، ولا هو متمتع برؤية هذا البستان ، وما احتواه من بديع أنيق ، وجميل رشيق . فهو محروم نعمةَ البصر ، ويالها مِنْ نِعمة مَنَّ الله بها علينا ! فبها نرى مايحيط بنا من الأشياء ، ونفرّق بين الغَثّ والسمين ، ونعرف العدو والحبيب ، ونجو من العثَرات ، ونأمن الزّلات ، ونقرأ الكتب القَيِّمة ، والمؤلفات المفيدة ، لتستنير عقولنا بما حوته من علم ناضج ، ورأى سديد ، وحكمةٍ بالغة . قال تعالى فى فضل نعمة البصر : « وَاللهُ

أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعلمُون شيئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبصار والأَفْئِدَةَ لعلكُم تَشكرون »

الفتاة — لكِ الشكر يا معلمتى على ما هَدَيْتِنِى إليه من الرُّشد ، وإننى أحمد الله على هذه النعمة العظيمة

المعلمة — إذَنْ لا تَغبطِى أحداً على حالته الظاهرة ، وارضَىْ بما قَسَمَ الله لكِ ، واقنَعى بما أَوْلاكِ ، واشكريه على آلائه . قال تعالى « ولَئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُمْ »

حَذَارِ من الطَّيْش والنزَق

كان الجهل منذُ ألفى سنة مُخَيِّماً بعقول الناس ، إلا النزر اليسير ، ممن خَصَّهم الله بنور التفكير والحكمة . فجال بخاطر الشَّعب الرُّومانى أن يَثُور على حكومته . فسار نفر كبير منهم فى الطُّرُقات منادين بالخروج على الحكومة ، قائلين : إنها تُثْقِلُ كاهل الأهالين بالضرائب ، وتختص بما تَبْتَزُّه من المال أفراداً يتمتعون به ، وغيرُهم فى شقاء ونَصَب . فلما وصلوا بمَوْكبهم إلى ساحة المدينة الكبرى ، توسَّطَ الجَمْعَ شيخٌ بلغ من الكِبَرِ عِتِيًّا . وكان مُتَّصِفاً بين قومه بالعقل والحكمة والعلم ، محبوباً محترماً حنَّكته التجارب وعَرَكَتْه الأيام . وزاده وقاراً لحيتُه البيضاء المُرْسَلَة . فقال مخاطباً زعيمهم : أراك تجمع

شَمْل الناس ليثوروا على الحكومة . قال نعم . قال : أفتأذنُ لى أن أقص عليكم حكاية مأْثُورة ، نقلها الخَلَف عن السَّلَف . قال قل وَأَوْجِزْ . قال الشيخ : زعموا أن أعضاء الجسم ثارَتْ مرة على المعدة ، لأنها تَلْتَهِمُ كل ما يدخلها من الأطعمة ، مع أنها لا تعمل شيئاً ، بينما باقى الأعضاء تُؤَدِّى جميع الوظائف ، والحركات والأعمال البدنية ، وليس لها نصيب من تلك المآكل والمشارب . فلما وصل الشيخُ إلى هـذا

توسط الجمعَ شيخٌ بلغ من الكِبر عتيًا

الحدّ من الحكاية صاح أكثر الحاضرين مُحبّذين هذه الثورة، لأنها قائمة على حُجّة قوية وسبب معقول : إذِ اليد تَدْأَبُ فى العمل والحركة، والقدم تسعى، والعين ترى، واللسان يُعَبِّر، والأسنان تطحن، والأُذن تسمع، فما للمعدة سبيلٌ للدفاع، وعليها تقع تَبِعَةُ هذا الحِرْمان. فقال الشيخ : هل علمتم بِمَ دافعت المعدة عن نفسها؟ قالوا لا. قال : انها لما سمعت ما نُسِب إليها من الظُّلْم والحَيْف، نظرت إلى الأعضاء مبتسمة هادئة، وقالت: يا قوم لو فكرتم فى الأمر مَليًّا لتَبَيَّنْتُمْ أنكم فى دَعْواكم مُخْطِئون، وفيما تَنْسُبون إلىّ مَخْدُوعون. فما أنا إلا خادمة لكم، مُسَخَّرة لهضم الأطعمة وفصل طيّبها من خبيثها، وتوزيع الطيب عليكم، كُلٌّ وما يَصْلُحُ له، ولولا ما أُجْرِيه من الهضم والتنظيم، لاخْتَلَّ أمركم وفسدت حالكم، فلا تَغْتَرُّوا بالظواهر، بل كونوا منها على حذر، ولا تَتَسَرَّعوا إلى الحكم، ففى التَّسَرُّعِ كلُّ الشَّطَط. فأقْنَعَ هذا أعضاءَ الجسم وأخذوا يعتذرون عما فَرَطَ، وأقْسَمُوا ألا يُسيئوا الظَّنَّ بالمعدة بعد ذلك. قال الشيخ : تلكم يا أولادِى حالكم مع حكومتكم. فإنها تجمع الضَّرائب لتُنْفِقها فى سبيل المنافع العامة، كحفظ النِّظام، وإقامة العَدْل، وتشييد معاهد العلم، وحفْرِ التُّرع، وإقامة الجُسُور، وتمهيد الطُّرُق، وَصَدِّ الأعداء عنكم، إلى غير ذلكم مما لولاه لأصبحت حالكم فَوْضَى، لا تأمنون معها على أرواحكم، ولا أعراضكم، ولا أموالكم، بل لكنتم إلى الوحوش الضَّارية أقرب. فلما سمع القوم هذه الحكاية، استيقظوا من غفْلتهم

وعلِمُوا أنّ النار التى كانوا يلعبون بها كادت تُحرِقهم ، وتُوقِعُهم فى أشَدِّ المهالك . فاستَمَعوا لأقوال هذا الحكيم البليغ ، وأنصتُوا وعَمِلوا بوصيته الغالية

فويلٌ للطائشين الذين يأخذون الأمور على ظواهرها ، ويسيرون فى أقوالهم وأعمالهم من غير تَبَصُّر ، ولا تفكير فى عاقبة ما يفعلون «أولئك هم الأخسرون أعمالا الذين ضلّ سعيُهم فى الحياة الدنيا وهم يَحْسَبُون أنهم يُحسنون صُنْعاً »